

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزرنا علما، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يسمعون القول فيتبعون أحسنها وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أيها الأخوة الكرام، لازلنا في سورة يوسف عليه السلام، قال تعالى:  
**﴿أَرْجِعُوا إِلَيْكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهَدْنَا إِلَيْهِ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ (٨١) وَاسْأَلِ الْقُرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٨٢) قَالَ بْلَ سَوْلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبَرْ جَمِيل﴾**

[سورة يوسف]

الصبر الجميل أيها الأخوة نتيجة لمعرفة الله عز وجل، ونتيجة طبيعية لمن يؤمن بأن الله تعالى إذا أراد شيئاً وقع، وإذا وقع الشيء أراده الله

الصبر الجميل هي نتيجة طبيعية لإيمان المؤمن بهذه الحقيقة التي هي أصل في العقيدة، وإذا أراد الله شيئاً أن يكون كان، وإذا رأيت شيئاً قد وقع فقد أراده الله، فإن الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يكون في ملكه إلا ما يريده، ولا يكون في ملكه شيء لا يريده، ومن الوهبيَّة أن إذا أراد أن يقع شيء وقع، الخيرة فيما اختاره الله، ولكن إرادة الله متعلقة بالحكمة المطلقة، والحكمة المطلقة أي أن الله تعالى مُنزهٌ أن يفعل فعلًا غير حكيم لعلة الجهل أو الضغط أو الإغراء، فالإنسان يرتكب حماقة بسبب ضغط؛ يقول لك: جاءني ضغط فوق طاقتِي، وهو غير قانع، أو أغراه شيء أو جذبه فارتَّكب حماقةً، أو كان جاهلاً في موضوع ما فارتَّكب حماقةً، فالعمل المنافي للحكمة أساسه الإغراء أو الضغط أو الجهل، وذات الله سبحانه وتعالى مُنزهٌ عن كل هذا، فأفعال الله أن كل شيء وقع أراده الله، وكل شيء أراده الله وقع، وإرادة الله متعلقة بالحكمة المطلقة، وحكمته المطلقة متعلقة بالخير المطلق.

أيها الأخوة، حقيقة من أخطر الحقائق، الشر المطلق لا وجود له بالكون ، أي الشر لأجل الشر، فييمكن للإنسان أن يُخدر إنساناً ويفتح له بطنه ويخرج منه الزائدة ؛ فهذا شرٌ لكنه نسبي، وهدفه نبيل، وهو إزالة الالتباس، إذا يجب علينا أن نعتقد أن الشر المطلق لا وجود له بالكون وأي إنسان يعتقد خلاف هذا، فإنه يرتكب الكفر بكمال الله عز وجل ولكن هناك الشر النسبي، فهو عندنا نسبي أما عند الله تعالى فهو معالجة.

هذا المعنى إذا ترخّس في نفس المؤمن، يصبر، وأنّ ما وقع أراده الله، وهذه الإرادة مقدّسة، ف فهي رحيمة وعادلة وخير، تجد إنساناً لأنّه سبب بسب الدين، وهذا من جهله، أما المؤمن إذا جاءته أصعب المصائب تجده يقول: حسيبي الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوّة إلا بالله، يرى يد الله تعمل في الخفاء، وتعمل فوق أيدي الناس، فالمؤمن الكامل لا يرى أنّ أفعال العباد إلا تعبيراً عن مشيئة الله عز وجل، فالواحد إذا تلقى الضربة بالعصا، فهل يغضب ويحقد العصاة؟! هذه عصاة، وإذا كان الضارب حكيم وعليم وخبير، هذا يعني أنّ الغلط منه !! تعالى الله، لذا المؤمن لما يتلقى مشكلة أو ضربة يقول لك: فعل هذا معي بمشيئة الله، والله تعالى حكيم وعليم ورحيم، لهذا ورد في الحديث الشريف: ما من عترة ولا اختلاج عرق، ولا خدش عود إلا بما قدّمت أيديكم، وما يعفو الله أكثر، والمصائب مصائب قسم، فالمصائب رفع للمؤمنين، قال تعالى:

﴿ولنَبُلُونَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنْ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأُمُوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثُّمَرَاتِ وَبَشِّرُوا الصَّابِرِينَ﴾ (١٥٥)

[سورة البقرة]

صَبَرُوكَ بِقُدرِ إِيمَانِكَ، ومعرفتك بكمال الله، ولا إِلَهَ إِلَّا الله، فالله هو معطي والقاض، وهو الفعال، والمائع، والمحيي والمميت، وهو المعز والمذل، هناك حديث غريب:

﴿الصَّابِرُ هُوَ الْإِيمَانُ﴾

فأنت لا تصبر إلا إذا علمت أنّ الإيمان فيه صبر وحكمة ورحمة، أما ضعيف الإيمان، فيرى الواحد جوعان، ويُصلّي، وذلك لا يصلّي وسينفجر أكلاً ! ما هذا ؟ هذه نظرية قاصرة، قال تعالى:

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِرُوا بِهِ فَتَحَنَّا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرَحُوا بِمَا أُوتُوا أَخْذَنَاهُمْ بَعْتَهُ فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ (٤٤)

[سورة الأنعام]

إذاً كلمة صابر جميل، هذه الكلمة ولكنها محصلة إيمان كبير جداً وأنت كلما ارتقى إيمانك تتلقى الأشياء المزعجة بصابر جميل، وهذا فعل الحبيب، فهذا الذي تحبه هذا قراره، والذي تبعده وترجوه هذه إرادته.

قال تعالى:

﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (٨٣) وَتَوَلَّ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (٨٤)

[سورة يوسف]

لذلك قال العلماء: مرض ابيضاض العين سببه نفسى، والآن يكاد يجمع الطب على أنّ معظم الأمراض تعود في أسبابها الرئيسية إلى الصدمات النفسية، بل إنّ مرض السرطان الذي هو المرض الخبيث المستعصي، في أحدث التحاليل الدقيقة له ؛ أنه مadam النمو العشوائي للخلايا بسبب ضعف جهاز المناعة، وجهاز المناعة هو الضابط لنموّ الخلايا، وهو يضعف أثناء الصدمات النفسية، معنى ذلك أنّ التوحيد هو الصحة، فإذا أردت الصحة، فما دام جهاز المناعة

سليم ؛ معنى ذلك أنَّ الأجهزة كلُّها سليمة، هناك آلام عَضْمِيَّة أسبابها صدمات نفسيَّة وحشَّى عضلية، وهذه الصدمات وراء القرحة، والهضم والتَّهاب المعدة والأمعاء، ومرض السُّكُر، وضغط الدم، فلو أحصيَتَ الأمراض لرأيتَ أنَّ معظم الأمراض أسبابها شدَّة نفسيَّة، والإنسان يرتأح بالتوحيد، وما تعلَّمت العبيد أفضل من التوحيد.

قال تعالى:

﴿قَالُوا تَالَّهِ تَفَقَّا تَذَكُّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٥) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوْ بَثِي وَحْزُنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٦)﴾

[سورة يوسف]

قال: يُعبَّر مَن يشُكُّ الرحيم إلى الذي لا يرحم، والعلماء قالوا: مَن شَكَّ إلى مؤمن فكأنما شَكَّ إلى الله، ومن اشتَكَّ إلى كافر فكأنما اشتَكَّ على الله، فأنت لو شَكَوتَ همك لِإِنْسَانٍ غير ملتزم رأساً يقول لك: قلنا لك دعك من هذا الدين السميك !! وأنت مُتَزَمِّنْتَ، وأنت تعيش بِعَصْرٍ آخر، أما لو شَكَوتَ لمؤمن يُصَبِّرُكَ، ويَهْمِمُ لك، فإِيَّاكَ أَن تَشُكُّ همك لكافر، لأنَّكَ تُضيِّفُ للمُصيبة مصيبة أخرى، والدعاء النبوى الشريف: اللهم إنا نعوذ بك من عُضال الداء، ومن شماتة الأعداء، ومن السَّلْب بعد العطاء، والأفضل أن لا يشُكُّ الإنسان همَّ لأحد بل يدعه الله تعالى.

قال تعالى:

﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٦)﴾

[سورة يوسف]

فأنت تكبر عند الله تعالى إذا جاءتك مُصيبة وما تكلَّمتَ لأحدٍ، قال له: يا إبراهيم، هل لك من الله حاجة؟ سيحرقونه في النار، علمه بحالك يُغْنِي عن سؤالي، فإذا كان الأمر مع المؤمن لك أن تشتَكِي له أَمَّا مع غيره فلا، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢٠٠)﴾

[سورة آل عمران]

هناك من يُفْضح كل سرِّ المستكِي، فأكمل من أن تشكُّ لمؤمن أو كافر أن تشكُّ إلى الله تعالى وعلمه بحالك يُغْنِي عن سؤالك، وإذا كنت في كل حال معي فعن حَمْل زادي أنا في غنى، ولكن لي كما أريد أَكُن لك كما تريده، ولا تعلمني بما يُصلِّحُكَ، وإذا سلمتَ لي فيما أَرِيد كَفَيْتُكَ ما تُريد، وإن لم تُسلِّم لي فيما أَرِيد أَتَعْبُنُكَ فيما تريده ثم لا يكون إلا ما أَرِيد.

والحمد لله رب العالمين